جامعة عين شمس
كلـية الآداب
قسم التاريخ

المرأة في المجتمع الإنجليزي
(1154 – 1381 م)

رسالة لنيل درجة الماجستير

مقدمة من الطالب

أحمد حمدي أبو ضيف زيد

أ.د/ اسحق تاضروس عبيد
أستاذ غير متفرغ تاريخ العصور الوسطى
بكلية الآداب جامعة عين شمس

د. عبد العزيز محمد عبد العزيز
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
بكلية الآداب جامعة عين شمس

عام 2010

تحت إشراف

الفهرس

الموضوع	الصفحة
فهرس الخرائط :	iii
فهرس الصور والأشكال :	iv-v
المقدمة	vi-viii
الفصل التمهيدي :المرأة الإنجليزية في ضوء الكتابات المصدرية بعد الغزو النورماندي(1066 – 1154 م)	22–1
الباب الأول :مكانة المرأة في المجتمع الإنجليزي	
الفصل الأول : مكانة المرأة في المجتمع الإنجليزي	74 – 23
الفصل الثاني : كتابات النساء الإنجليزيات	113–75
الباب الثاني : المرأة والمجتمع الإنجليزي	
الفصل الثالث : دور المرأة في الحياة العامة	168 –114
الفصل الرابع : المرأة والأسرة في المجتمع الإنجليزي	214 –169
الباب الثالث :المرأة والحياة السياسية	
الفصل الخامس : دور المرأة في السياسة الداخلية	292 –215
الفصل السادس : دور المرأة في السياسة الخارجية	325 –293
الخاتمة :	328 –326
ملاحق البحث :	336 –329
قائمة الاختصارات	339 –337
قائمة المصادر والمراجع	356 –340

فهرس الخرائط

خريطة (1) خطوات تحرك الإمبراطورة زمن الحرب الأهلية 20

خريطة (2) توزيع السكان والمدن الإنجليزية عام 1086م 151

خريطة (3) توزيع السكان والمدن الإنجليزية عام 1377م 151

خريطة (4) توضح أملاك هنري الثاني البلانتجنت المتنازع عليها في الدومين الفرنسي عام 1160م 299

خريطة (5) أملاك البلانتجنت في فرنسا عند وفاة الملك هنري الثاني عام 1189 302

خريطة (6) مناطق نفوذ السافويارد في بروفانس الخاضعة للتاج الفرنسي والمجاورة لدوقية أقطانيا التابعة للتاج الإنجليزي 314

فهرس الصور والأشكال

1 – صورة الملك هنري الثاني ملك إنجلترا بدير فونتفرولت 69

2– صورة الملكة اليانور من اكوتين زوجة هنري الثاني بدير فونتفرولت 69

3–صورة الملكة برنجاريا من نفاريا زوجة ريتشارد الأول بدير فونتفرولت 69

4– صورة الملك ريتشارد الأول دير فونتفرولت 69

5– صورة الملكة إيزابيل من انجولم زوجه الملك يوحنا بدير فونتفرولت 69

6- جزء من باب المعبد الإنجليزي العاجي 1240-1250 بمتحف فيكتوريا والبريت 70

7- جزء من باب عند مدخل دير هيجهام فيررز في نورمبتونشير 70

8- منمنمة من الكتاب المقدس على شكل ميداليات تعود للقرن الثاني عشر بدير لامبيث بوستمينستير 70

9- تمثال عاجي للسيدة العذراء ضمن مجموعة بوريل بمتحف جلاسجو للتصوير الفني تعود للقرن الثالث عشر 71

10- تمثال عاجي إنجليزية من لوحه شجره الجس بمتحف فيكتوريا البريت تعود لقرن الثالث عشر 71

11- تمثال برونزي للملكة الينور من قشتالة بيد الفنان الإنجليزي وليم من ترويل بلندن 1291-1293 بدير ويستمينستير 71

12- منمنمة من مخطوط اجاديوس كولون ضمن مخطوط مراسيم الأمير إدوارد الأول الحكومية تعود لعام 1300 م بمتحف صور والتر 72

13- صورة لبغية بابليون تعود للقرن الرابع عشر من سفر الرؤيا بالمكتبة البريطانية أضيف المخطوط برقم 17333 ورقه رقم 34 73

14- صورة من كتاب قداس كرملى الإنجليزي تعود للقرن الرابع عشر يظهر فيها القديس نيكولاس يقوم بتزويد ثلاث فتيات بالبائنة ليحفظهن من تجاره الجسد عند وفاة والدهم من مخطوط المتحف البريطاني أضيف برقم 29204 ورقه 164 73

15- صورة المرأة التي تضرب زوجها أخذت من كتاب المزامير الإنجليزي تعود للقرن الرابع عشر بمخطوط المتحف البريطاني أضيف برقم 42130 ورقه 60 73

16- تظهر الصورة اثنين من البغايا تفحص العضو الذكرى للرجل في قضية بطلان زواج في القرن الرابع عشر أخذت من مخطوط جراتيان رقم 133 ورقه 277 73

17 – الشكل يوضح أهمية الأرامل في تحويل الإرث 118

إهداء

إلى روح والدي وأمي الغالية

تمهيد

المرأة الإنجليزية في ضوء الكتابات المصدرية بعد الغزو النورماندي

(1066 – 1154 م)

- مكانة المرأة في الكتابات الدينية والتاريخية والأدبية والتشريعات القانونية
- دور المرأة في الحياة العامة
- دور المرأة في الأسرة
- دور المرأة في السياستين الداخلية والخارجية

فتح وليم الأول William I(1066– 1087م) النورماندي في عام 1066م الجزر الإنجليزية التي دانت لحكمه– آنذاك– وقام فيها بالعديد من الإنجازات الاقتصادية والدينية والسياسية, وفصل بين السلطتين المدنية والدينية في مجال السياسة الدينية –كما هو متبع في نورمانديا والأراضي الفرنسية. فقد اصطحب معه لانفرانك Lanfrance وأنسلم Anselm – راهبا دير بيك Bec الشهير في مقاطعة نورمانديا Normandy– ليرأسا أسقفية كانتربوري Canterbury بالتتابع؛وبهذا بدأت روح جديدة تدب في الأديرة الإنجليزية وفق النموذج التي سارت عليها الأديرة في الفرنسية. وقد اثر وتأثر كتاب ذلك العصر كثيرا بما يجري في إنجلترا من اضطهاد لعناصر النبلاء الإنجليز القدامى خاصة بعد معركة هاستنجز Hustings سنة 1070م وبدا لهم من حكم الطاغية النورماندي ما بدى, وبناء عليه بدأت النزعة الفكرية الدينية في إنجلترا تذهب إلى النظرة الصوفية والإمتاع العقلي الفلسفي مستفيدة بالتأكيد من منابع الثقافة الدينية الفرنسية, وقد ظهر ذلك جليا في كتابات القديس أنسلم[1] .

حاول القديس أنسلم أن يوضح من خلال كتابه "لماذا الرب رجلاً؟" أن فكرة وجود الأنثى في الحياة ما هي إلا نشوء طبيعي لإكمال عناصر الموجودات الطبيعية مستخدما في ذلك المنطق الأرسطي في البحث, حيث فرق بين جنس الرجل والمرأة قائلا:"أن الرب ينتمي لجنس أرفع مكانة كونه الأب أو الابن, ولأن الأم أو الابنة دون ذلك في المنزلة, فهذا بالتأكيد حقيقة طبيعية, لأن الأب هو الأسبق في وجود الذرية ". وقصد القديس أنسلم من كتابة مؤلفه – كما أوضح في حديثه مع بوزو

---

[1]) يعتبر القديس انسلم (1033 – 1109 م) من اعظم من اسهموا فكريا ودينيا في إنجلترا. ولد القديس أنسلم بقرية اوستا Aosta عام 1033م , ودخل دير بيك في نورمانديا عام 1060, وحل محل لانفرانك كرئيس للدير عام 1078 م , واستدعاه وليم الأول ليتولى رئاسة أسقفية كانتربوري وحتى عام 1109 , ترك أنسلم عدة مؤلفات كان من أهمها : قواعد التحدث Dialogus de Grammatico , أو المسائل اللاهوتية القبيحة أو مثال من السجل المقدس Monologium de Divinitatis Essentio Siva Exempleum de Ratione Fidei , والحقيقة Veritate , ولماذا الرب رجلا Cur Deus Homo , للمزيد انظر:

Weber, History of Philiosophy ,tr.F.Thilly, (NewYork,W.D),pp.50–56; see , سعيد عاشور also,أوربا العصور الوسطى, جـ 1: التاريخ السياسي , (القاهرة , 1958), ص 430 ,431

Boso –كاهن كانتربورى (1124 – 1136 م)– أن ينفى فكرة هبوط الرب برحم العذراء , أو أنه ولد من امرأة حيث يقول:"إن الملحدين الساخرين يظلمون الرب, عندما يؤكدون أن نشوءه كان داخل العذراء, فولد من امرأة", ويربط أنسلم أثم الخطيئة الأولى بالمرأة فيقول:" بسبب خطايانا الناشئة من امرأة ... والتي كانت تماما كالشيطان الذي أغوى الرجل بإلتماس ما يؤكل من الشجرة". وينفى أنسلم الشر عن العذراء على الرغم من حمل حواء لأثم الخطيئة الأولى فيقول: "يجب أن تكون السيدة العذراء السبب في كل وجوه الخير؛ فرغم كل الشر الذي لاقته من مثيلتها(حواء وبنى جنسها من النساء) ... أذن فالسيدة العذراء هي أيضاً يكون ميلادها بدون رجل". هذه المبادئ التي حاول انسلم إثباتها تحمل بعضا من التناقض العقلي والعقائدي لما هو متعارف عليه من أسباب وجود العذراء وابنها على الأرض, حيث حاول أن يثبت عدة أمور: أولا:أن المرأة هي أساس الإثم والخطيئة. ثانيا:أن ماهية الابن الروحية أسمى من ماهية أرواح باقي البشر. ثالثا:أن العذراء ليست من أبناء الأرض وإنما نزلت من السماء لتوجد الابن على الأرض. ومن الملاحظ أن المفهومين الدينين الثاني والثالث يتنافيان مع المنطق الديني والواقعي للتصور والنهاية الذي آل إليه " الإبن والأم " أو السيدة العذراء؛ وبناءً عليه فقد وجدت أفكار أنسلم الكثير من الصعوبات في تقبلها في إنجلترا [1].

سبق الحديث عن تأثير الفتح النورماندي على الجزر الإنجليزية في الجانب الديني, وذلك التأثير لم يعدم وجوده في الفكر الأدبي, خاصة وأن جميع الكتابات الأدبية في الفترة التالية للغزو أثرت على الجزء الجنوبي لإنجلترا تحديدا – والقريبة من الأراضي الفرنسية التابعة للسيطرة النورمانية– دون الجزء الشمالي؛ والملفت للنظر هنا أن جميع الكتابات الأدبية – في الجزء الجنوبي– جاءت مرتبطة أكثر بالكتابات الدينية والسياسية ولم يظهر الشكل الملحمي القصصي إلا من خلال كتاب " تاريخ ملوك البريتون Historia Regum Britanniae , والذي ظهر فيه دور المرأة مهمشاً باهتاً, وحتى عندما تحدث عن الملكة جوينفير Guinevere – زوجة الملك آرثر Aruther – لم يُذكر أكثر من نسبها الروماني الرفيع, ومظاهر الاحتفال المهيب الذي أقيم داخل الكنيسة بمناسبة زواج الملك منها, ولم يتعد دورها اكثر من مجرد أشلاء مبعثرة لا يمكن الحكم من خلالها بشكل منطقي[2], ولذا فقد اعتمدنا في فهم الفكر الأدبي لتلك الفترة على المصادر السياسية والدينية التي جنح مؤلفوها

---

(1) St.Anselm, Proslogium; Monologium;an Appendix in Behalf of the Fool by Gunilon; and Cur Deus Homo, (London , 2000),pp.102 - 246 ; see also ; Ordericus Vitalis ,The Ecclesiastical History of England And Normandy, tr. & T. Forester, Vol. IV, (London, 1854),p. 213 . no. 2.

(2) Geoffrey of Monmouth ,The History of The Kings of Britain, tr. T. Thorpe, (London , 1966) , pp. 221- 229.

إلى المزج بين التاريخ الديني والسياسي مع الأدب. وأول تلك الصور ارتبطت بوليم الفاتح نفسه, وقدمها وليم من مالمسبوري William of Malmesbury في كتابه"تاريخ ملوك النورمان (1066 – 1125 م) " "History of the Norman Kings (1066- 1125 A.D), والذي رأى أن يعرض من خلال شخصية الفاتح نموذجا من الأدب التعليمي أو الإرشادي لكهنة الأديرة والكنائس, حيث حاول أن يرسم تصور خيالي لشخصية وليم الفاتح في ميلاده ونسبه للكونت روبرت Robert كونت هيسمويس Hiesmois– ابن الدوق ريتشارد الأول Richard I الاسكتلندي–, والذي رأى وهو في طريقه متجها لعاصمته فاليس Falaise أرليت Arlette ابنة الدباغ في المدينة, وهي تغني وتغسل الكتان في جدول الماء, فافتتن بجمالها فجانبها, وأنجبت له وليم الفاتح, وبعد فترة اعتقها وتزوجها[1], ودون التحقيق كثيرا في صحة ما قيل , فالظاهر أن كاتبها قصد إرشاد كهنة الأديرة إلى الاهتمام باللقطاء الذين لا ذنب لهم في وجودهم بالحياة, وقصد كذلك الدفاع عن الملك هنري الأول HenryI (1100– 1135م) الذي تزوج من ماود Maud الأميرة الإنجليزية الاسكتلندية الأصل, وهي الزيجة التي جرت على هنري الأول تهكم كثير من البارونات؛ حيث رأى الأمراء النورمانديون أن الشعب الإنجليزي اقل منهم في المنزلة الاجتماعية[2], ولعل هذه القصة الرمزية بما تحمله من خيال ودلالات تجعل وليم من مالسبورى سابقا على الشاعرة ماري من فرنسا Marie De France التي حاكت ذات التوجه بعد ذلك في عهد هنري الثاني.

والصورة التالية يجسدها لنا أوردريك فيتاليس Ordericus Vitalis, وترتبط أيضاً بوليم الفاتح, وغير أن الطرف الأنثوي هذه المرة زوجته ماتيلدا Matilda(ت. 1083 م) التي أثرت بخبرتها على المجتمع الإنجليزي بأكمله, وذكرنا بالشعر المهدى لها على النصب التذكاري تأبينا لروحها وأغلب الظن أن جميع الكتابات المصورة للمرأة أدبيا. ارتبطت أكثر بالملوك والملكات الإنجليز في وصف خيرهم وكرمهم. على أن الأمر بطبيعة الحال كان يختلف حينما يتم التحدث عن نساء خارج دائرة الحكم الإنجليزي فها هو نفس الكاتب يخبرنا بما فعلته سيتشلجات Sichelgaita ابنة جايمار Gaimar– دوق سالرنو Salerno, مع بوهيموند Bohemond ابن حاكم صقلية Sicily عندما رتبت لقتله بالسم البطيء مع أطبائها القادمين من سالرنو حتى لا يستأثر بالحكم, وضرب مثلاً آخر لما حدث زمن الملك الفرنسي لويس السادس Louis VI(1108– 1137) عندما ساعد برتراد

---

(1) William of Malmesbury, A History of The Norman Kings(1066-1125A.D),tr. M. Pennar , (London, 1991), pp. 5,6 ;see also, M.B.C. Davis, William The Conqueror ,(London , 1925) , p. 63.

(2) Peterbourgh Chronicle ,tr. H . A. Rositzke , (New York , 1951) , p. 135 .

Bertrade كونتيسة أنجو Anjou على الطلاق من زوجها دون وجود مبرر شرعي, الأمر الذي دفع اوردريك إلى نعتها بالفاسقة ونعت لويس السادس بعد تطليقه زوجته كونستانس Constance – دون مبرر– ليتزوج من برتراد بـ "الملك الزاني" [1].

ومن الواضح أن توجه اوردريك فيتاليس بنفسه عن تسفيه الطبقة الحاكمة كان سائدا في كل إنجلترا وقتذاك. غير أن الأمر كان يختلف بالطبع عند الحديث عن أفراد الشعب – بصفة عامة – وحتى النبلاء, حيث بدا الكّتاب اكثر وضوحاً وواقعية في وصف ما يقال, وفي هذا الصدد تظهر منهجية الكتابة في المزج بين الفلسفة الدينية والوصف الأدبي, وقُدمت المرأة بعدة صور. وجسدت الكثير من معاني المشاعر الفياضة التي تنم عن احترامها ,وهو ما جسده وليم من مالمسبوري في قصة عن الكاهن برنجار Berengar الذي رأى جمال إحدى السيدات اللائى اتبعن بدعته؛ وما ذكره عن أسقف شارتر Chartres – فولبرت Fulbert – الذي رأى مريم العذراء فشفي من أمراضه بعدما شرب من لبن صدرها [2]وكذلك وصف فيتاليس لإيزابيل من كونشيز Isabel of Conches زوجة رالف من توسني Ralph of Tosny وابنة سيمون مونتفورت Simon of Montfort بأنها جسورة ومرحة, ولذلك اكتسبت محبة واحترام كل المحيطين, وفي الحرب كانت لا تقل عن العذراء الإيطالية كاميلا Camilla أو عن ملكات أسيا المحاربات في الزمن الغابر لامبيتو Lampeto وماريسيا Marpesia وهيبوليتا Hippolyta وبنشليا Penthesilea [3].

وإذا كان ذلك حال جنوب إنجلترا بعد الغزو النورماندي, إلا أن الأمر أختلف في باقي أنحاء الجزيرة الإنجليزية, وذلك نظرا لعامل الموقع الجغرافي من انعزال الجنوب عن باقي أنحاء إنجلترا, وقد ظهر ذلك في أشعار ويلز Walsh Verse [4] التي تشير إلى ارتباط أفكار تلك المنطقة بأهل الشمال حتى بعد الغزو النورماندي رغم انتشار المسيحية هناك, ولكن ثمة اختلاف يظهر في الشكل الأدبي لبناء القصيدة والمضمون القصصي الذي يحوى نفس المعنى الرعوي مع إضافة اللمحة المسيحية,

---

(1) Ordericus Vitalis , *Ecclesiastical*, pp. 7- 261.

(2) دعا برنجار إلى تحريم الخبز وان تزود كل أبرشية بكاهن ليتلوا الصلوات وكذب بقضية عودة السيد المسيح للحياة مرة أخرى. وكان برنجار من تور Tour وانتشرت بدعته في كل أنحاء فرنسا وإنجلترا زمن الملك الإنجليزي وليم ريفيوس للمزيد انظر: William of Malesboury, *Norman*,pp.47-49.

(3) Ordericus Vitalis , *Ecclesiastical* , pp. 213 - 215.

(4) قام انتوني كونران Anthony Conran بتجميع وترجمة عدد كبيرا من أشعار بلدة ويلز في كتاب أطلق عليه Walsh Verse وقد اشتمل على الأشعار تلك البلدة بداية من القرن السابع وحتى منتصف القرن السادس عشر وقد صدرت الطبعة الأولى منه في سنة 1967 وهي النسخة التي تم الاستعانة بها في هذا البحث أنظر:
Welsh Verse ,ed .&tr. A. Conran ,(Middlesex,1967), p.13 intro.

وإن خلت تلك القصائد في بعض الأحيان من ذكر الحوادث التاريخية. وفي هذا الصدد برزت صورة المرأة بوجهة فكرية جديدة حتى بدت في جمالها هي المحور الأساسي الذي لا يجب أن يشوه. فيصف جوالشماي اب ميلر(1130- 1180م) Gwalchmai ap Meilyr في مفخرته Gwalchmai`s Boast مبتغاه في حربه ضد السكسون الوثنيين بأن يتزوج من الفتاة كارويز Cearwys, والتي احبها القائد العادل جينيلس Genilles [1] وقيساً على ذلك الكثير من الأشعار التي كتبت عن الحب والمغامرة وميادين القتال والتي اتخذت من المرأة هدفا لحفز الهمم واثبات الرجولة .

ومن خلال ما تقدم يمكن الحكم على الكتابات الأدبية والتاريخية؛ أن السلطة الحاكمة أثرت على رؤية النساء في منطقة جنوب الجزر الإنجليزية – في الفترة السابقة على البحث – في حين ظلت باقي الجزيرة على حالتها البدائية تتصل أفكارهم أكثر بأفكار أهل الشمال .

نأتي الآن إلى قضية أخرى أثرت في تكوين صورة المرأة الإنجليزية في المجتمع الإنجليزي, والممثلة في التشريعات القانونية التي ميزت إنجلترا قاطبة عن غيرها من أقطار الغرب الأوربي,الأمر الذي أهلها أن تخرج مع مطلع العصر الحديث كدولة صاحبة ملكية دستورية لا يماثلها أحد[2]. وقد جاءت البداية الفعلية بعد الغزو النورماندي حين بدأت إنجلترا تدخل طورا جديدا في مجال التشريع, ولعل ذلك مرجعه إلى وليم الفاتح دوق نورمانديا الذي رأى مساوئ الملك الفرنسي؛ لذا قام بتنظيم قوانين تلك الجزيرة مستفيدا من مثالب الآخرين وخاصة في الناحية الاقتصادية لب التشريع الفرنسي, حيث عكف على إحصاء جميع ما بتلك الجزيرة من خيرات " فلم يترك من الأرض قيراطاً أو ذراعا , بل انه لم يترك ثورا أو بقرة أو خنزير إلا أحصاه وأثبته في كتابه " المعروف باسم الكتاب الإحصائي أو الروك The Domesday Book سنة 1086 م, ثم قام بتقسيم إقطاعيات وأراضي الانجلو– سكسون؛ وبناء على هذا فقد ظهرت النورمان؛ كطبقة اجتماعية جديدة في المجتمع وانحدرت طبقة البارونات الانجلو– سكسون, وفي هذا الصدد اتخذ وليم الفاتح عدد من الإجراءات التعسفية المرتبطة بالزواج,فحظر منذ البداية زواج بارونات من طبقة البارونات الانجلو–سكسون " حتى لا تتلوث دماء طبقة نبلائه الوليده", ومن ثم جعل موافقة الملك على عقد الزواج شرطاً أساسياً لقبول زواج بارونات الفرنسيين.

---

(1) Gwalchmai ap Meilyr , From Gwalchmai`s Boast , in *Welsh Verse* , ed & tr. A. Conran , (Middlesex ,1967),pp. 104-105.

(2) Bateson, M ., *Medieval England 1066 - 1350* , (London , 1905), pp. IX- XIII.

وسع وليم الفاتح من دائرة النبلاء لتشمل كل فئات البارونات في الجزيرة الإنجليزية وأصدر قانونا عاما يقضي " بضرورة أن يتزوج كل فرد من طبقته "[1]. الأمر الذي أدى إلى حدوث مصادمات بين وليم والنبلاء, وساعد ذلك على أتساع الجزر الإنجليزية وصعوبة إحكام السيطرة عليها في وقت كان لا يزال وليم في طور بناء دولته. وظهر ذلك في أحداث سنة 1075م حينما رغب الملك وليم الفاتح في تزويج شقيقة وليم بن اوسبرن William Fitz Osbérne ليزوجها من الايرل رالف Ralph الذي رفض وقال: "أمي وأبى الإنجليز أسماني رالف, وولدت بنورفولك Norfolk, أذن على الملك أن يهبني إيرلية نورفولك وسوفولك Sofolk كحق لي ولأبنائي الذين قد يولدوا من عروس المستقبل الإنجليزية بنورويتش Norwich ". وكانت المشكلة أن الايرل روجر Roger –كونت نورفولك– والايرل والثيوف Waltheof والأساقفة قد اشترطوا أن يشهد ملك إنجلترا على زواج رالف من العروس الإنجليزية؛ ومن ثم اتخذ رالف من الدعاية الشعبية وسيلة ضد رغبات الملك, وقام بتحصين القلعة واعد عدته للرحيل هو وزوجته الإنجليزية إلى نورويتش دون أن يتزوج من أخت الايرل وليم اوسبرن[2] .

واستفاد وليم روفوس William Rufus(1087 – 1100) من تلك الحوادث التي وقعت في عهد أبوه – وليم الفاتح– حيث قام باضطهاد طبقة الأمراء ورجال الكنيسة وقام بتحديد سن الزواج, بالحادية والعشرين بالنسبة للذكر و بالرابعة عشر لأنثي, ومع كل هذا لم تحل مشاكل الزواج بل ازدادت لارتباط تلك المشكلة بالوراثة والنساء الأرامل .

وفيما يتعلق بالمواريث لم تعد وراثة الأب المتوفى قاصرة على الابن الأكبر بل تدخل روفوس كثيراً في اختياره وإكهاله بالضرائب والأعباء المالية لانتزاع الإرث منه, وبالنسبة للأرملة فقد كان زواجها ثانية متوقفاً على موافقة روفوس وأمرائه, أما إن لم ترغب في الزواج ثانية ولديها أطفالاً إناث تؤول بائنتها إلى المملكة مع احتفاظها بجزء منه كمنحة ملكية استثنائية تنفق منها على بناتها[3]. وإذا كانت تشريعات روفوس قد اتسمت بالتشدد والتعسف فإن عهد هنري الأول كان افضل بكثير حيث منح يوم تتويجه عام 1100 م أهل إنجلترا الكثير من البراءات والإعفاءات خففت من حدة ما كان

---

(1) هـ .أ.ل.فشر, تاريخ أوربا العصور الوسطى,القسم الأول نقله إلى العربية د.محمد مصطفى زيادة ,د.السيد الباز العريني , القاهرة,1976,ص 166. Bateson, *Medieval*, pp.24-42;

(2) The Anglo - Saxon Chronicle , ed. & tr. J.A. Giles ,(London , 1903) , p. 454.

(3) Poole, A. L., *From Domesday Book to Magna Carta 1087-1216*, Oxford 1954, pp. 21,22; see also, Bagley, J.J.,& Rowley, P.B., *A Documentary History of England (1066-1540)*, Vol. I , (Liverpool , 1965) , pp. 39-44 .

قائما في عهد أخيه, فقد نصت المادتان (3, 4) من البراءة أنه في حالة وفاة الرجل تاركا أرملة أو أطفالاً قصر , وكان للأرملة بائنة والزوج جزآه بالبيع أو الرهن, وطالما لا تزال تمكث محتشمة كما يقضي القانون, لا يجب أن يفرض عليها الملك أن تتزوج ثانية, كما يجب أن تمنح الوصاية على أملاك الأطفال في مقابل أن تحرم من بائنتها التي أقطعها لها أخوه وليم روفوس بشكل استثنائي. وكذلك نصت المادة (3) بأنه " إذا رغب واحداً أمرائي أو مستأجري الأملاك الزواج من ابنتي,أو أي فرد من العائلة الملكية, عليه أن يعلن رغبته تلك دون أن يؤخذ منه شيئاً لقاء الموافقة الملكية ولا يمنع الزواج إلا إذا كان الزواج مع وأحدا من أعدائي. وفي حالة وفاة أحد من الأمراء مستأجري الأراضي الملكية تاركا ابنته وريثة له, سأعطيها في الزواج إرثها كاملا بعد أخذ مشورة أمرائي" [1] .

على أن جانب الظلم الذي عانت منه المرأة لم تعكسه فقط تشريعات الإرث, بل أيضاً ما أباحته الكنيسة في ذلك الوقت " من حق الزوج ضرب زوجته حتى الأغماء "[2] . هذا إضافة إلى بعض القوانين الأنجلو–سكسونية التي استخدمها النورمانديون تجاه المرأة كعقاب المرأة الزانية أو الخائنة بجدع أنفها وقطع أذنيها وأجيز لزوجها أن يقتلها, في وقت كانت عقوبة فجور أحد السادة بواحدة من بنات الأقنان دون إرادتها أن يؤدي إلى المحكمة ثلاثة شلنات[3]. وفي هذا الصدد رصد أوردريك فيتاليس مثلاً لتلك الحالة عندما اندلعت حرب بين وليم من بريتويل William of Breteuil, واسلين جويل Ascelin Goel, وهي الحرب التي تسبب فيها إقدام جويل شقيق وليم من بريتول على إغتصاب إحدى سيدات قلعة باسي Pacy – التابعة للورد أسلين جويل–,وعندما أشتكت السيدة للأخين قضت المحكمة بتغريم جويل من بريتول, وعندما رفض الأخوان بريتول ما أعتبراه إهانة لمكانتهما الإقطاعية, نشبت الحرب بين الطرفين [4]وبصفة عامة يلاحظ أن التشريعات القانونية – في الفترة السابقة للبحث– كانت مجحفة للمرأة .

وفيما يتعلق بدور المرأة الإنجليزية في الحياة العامة أو الحياة اليومية فيبدو أن نساء الطبقة الأرستقراطية كن بعيدات تماما عن مجال الاحتكاك بخدم القصر , حيث أوكلت كل تلك الأعمال إلى وكيل السيد الإقطاعي الذي أطلق عليه Steward والذي كان مسئولا مسئولية كاملة أمام سيدة القصر وإن استثنينا بعض الأمور التي كانت يجب أن تقوم بها سيدة القصر ومنها عزل الملابس التي يرتديها الزوج والأولاد, وكذلك رياضة الصيد باستخدام العصا والتي لاحظ فيها يوحنا من

---

(1) The Coronation Charter of HenryI1100, *DHE* , (Liverpool,1965) ,pp. 44 -45 .

(2) Ordericus Vitalis , *Ecclesiastical*, p. 283

(3) ول ديورانت, *قصة الحضارة: عصر الإيمان*, ترجمة محمد بدران , م 8, جـ 16 , القاهرة 2001, ص 185 .

(4) Ordericus Vitalis , *Ecclesiastical*, p. 267 .